سورة المجادلة

معانى الكلمات :

تجادلك : تحاورك .

يظاهرون: يحرمون نساءهم تحريم أمهاتهم .

منكراً من القول : فظيعا من الكلام .

وزوراً : كذباً باطلا منحرفا عن الحق .

يتماسا : يستمتعا بالوقاع أو دواعيه .

يحادون : يعادون ويشاقون .

كبتوا : أذلوا أو أهلكوا .

أحصاه الله : أحاط به علما .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على حكم الإسلام فى الظهار .

٢ ـ أن نعلم مصير الذين يحادون الله ورسوله فى الدنيا ومصيرهم فى الآخرة .

٣ ـ أن نستشعر علم الله واطلاعه وشهوده وحضوره لكل ظاهرة وخافية فى الأرض والسماء.

المحتوى التربوى :

يقول صاحب الظلال : « فى هذه السورة بصفة خاصة نشهد صورة موحية من رعاية الله للجماعة الناشئة ، وهو يصنعها على عينه ، ويربيها بمنهجه ، ويشعرها برعايته ، ويبنى فى ضميرها الشعور الحى بوجوده ـ سبحانه ـ معها فى أخص خصائصها ، وأصغر شؤونها ، وأخفى طواياها ، وحراسته لها من كيد أعدائها خفيه وظاهره ، وأخذها فى حماه وكنفه وضمها إلى لوائه وظله ، وتربية أخلاقها وعاداتها وتقاليدها تربية تليق بالجماعة التى تنضوى إلى كنف الله ، وتنتسب إليه ، وتؤلف حزبه فى الأرض وترفع لواءه لتعُرف به فى الأرض جميعاً » .

كان الرجل فى الجاهلية يغضب لأمر من امرأته فيقول : أنت علىّ كظهر أمى ، فتحرم عليه ، ولا تطلق منه وتبقى هكذا ، لا هى حل له فتقوم بينهما الصلات الزوجية ، ولا هى مطلقة منه

فتجد لها طريقا آخر ، وكان هذا طرفا من العنت الذى تلاقيه المرأة فى الجاهلية ، فلما كان الإسلام وقعت هذه الحادثة التى تشير إليها هذه الآيات ، ولم يكن قد شرع حكم للظهار ، وقد سمع الله قول المجادلة التى تشتكى ما لديها من الهم بظهار زوجها منها ، وهذا هو الشأن الذى أنزل الله فيه حكمه من فوق سبع سموات ؛ ليعطى هذه المرأة حقها ويريح بالها وبال زوجها .

وأنه لأمر أن يقع مثل هذا الحادث العجيب ، وأن تشعر جماعة من الناس أن الله هكذا معها ، حاضر شؤونها ، جليلها وصغيرها ، معنى بمشكلاتها اليومية ، مستجيب لأزماتها العادية وهو الله الكبير المتعال ، وتبدأ السورة بمطلع عجيب إنكما لم تكونا وحدكما ، لقد كان الله معكما ، وكان يسمع لكما ، لقد سمع قول المرأة ، سمعها تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله ، وعلم القصة كلها وهو يعلم تحاوركما وما كان فيها والله يسمع ويرى ، وكلها إيقاعات ولمسات تهز القلوب .

ثم يقرر أصل القضية ، وحقيقة الوضع فيها ، وهو علاج للقضية من أساسها ، إن هذا الظهار قائم على غير أصل ، فالزوجة ليست أما حتى تكون محرمة كالأم فالأم هى التى ولدت ، ولا يمكن أن تستحيل الزوجة أما بكلمة تقال ، إنها كلمة منكرة ينكرها الواقع ، وكلمة مزورة ينكرها الحق ، والأمور فى الحياة يجب أن تقوم على الحق والواقع فى وضوح وتحديد ، والله عفو غفور فيما سلف من هذه الأمور .

ويجىء الحكم القضائى فى الموضوع وقد جعل الله العتق فى كفارات متنوعة وسيلة من وسائل التحرير للرقاب التى أوقعها نظام الحروب فى الرق إلى أجل ينتهى بوسائل شتى هذه واحدة منها ، وهناك أقوال كثيرة فى معنى : ﴿ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ ﴾ نختار منها أنهم يعودون إلى الوطء الذى حرموه على أنفسهم بالظهار ، فتحرير رقبة من قبل العودة إلى حله ، ثم التعقيب بأن الكفارة مذكر وواعظ بعدم العودة إلى الظهار الذى لا يقوم على حق ولا معروف ، والله خبير بحقيقته وخبير بوقوعه ، وخبير بنيتكم فيه .

وهذا التعقيب يجىء قبل إتمام الحكم لإيقاظ القلوب ، وتربية النفوس ، وتنبيهها إلى قيام الله على الأمر بخبرته وعلمه بظاهره وخافيه ، ثم يتابع بيان الحكم فيه على الترتيب يكون صيام ستين يوما تتابعا قبل التماس ، ومن لم يستطع فعليه إطعام ستين مسكينا ، ثم التعقيب للبيان والتوجيه بأن هذه الكفارات وما فيها من ربط أحوالهم بأمر الله وقضائه ، ذلك مما يحقق الإيمان ويربط به الحياة ، ويجعل له سلطانا بارزاً فى واقع الحياة ، وتلك حدود الله أقامها ليقف الناس عندها لا يتعدونها ، وهو يغضب على من لا يرعاها ولا يتحرج دونها ، والعذاب الأليم للكافرين بتعديهم وتحديهم وعدم إيمانهم وعدم وقوفهم عند حدود الله كالمؤمنين .

وفى المقابل تجىء صورة من صور الحرب والنكاية للفريق الآخر ، فريق الذين يحادون الله ورسوله ، أى الذين يأخذون لهم موقفا عند الله ورسوله ، بل عند الحد الآخر المواجه ، وهو

تمثيل للمتخاصمين المتنازعين ؛ لتفظيع عملهم وتقبيح موقفهم ، وساء موقف مخلوق يتحدى فيه خالقه ورازقه ، ويقف فى تبجح عند الحدِّ المواجه لحده .

هؤلاء المحادون المشاقون المتبجحون كبتوا ، والكبت : القهر والذل ، والأرجح أن هذا دعاء عليهم ، والدعاء من الله ـ سبحانه ـ حكم ، فهو المريد وهو الفعال لما يريد ، والذين من قبلهم إما أن يكونوا هم الغابرين من الأقوام الذين أخذهم الله بنكاله ، وإما أن يكونوا الذين قهرهم المسلمون فى بعض المواقع التى تقدمت نزول هذه الآية ، كما حدث فى غزوة بدر مثلا ، وهذه الآيات البينات تكفلت ببيان هذا المصير ، وكذلك لتقرير أنهم يلاقون هذه المصائر لا عن جهل ولا عن غموض فى الحقيقة ، فقد وضحت لهم وعلموها بهذه الآيات البينات .

ثم يعرض مصيرهم فى الآخر مع التعقيب الموحى الموقظ المربى للنفوس ، والمهانة جزاء التبجح ، وهى مهانة يوم يبعثهم الله جميعا ، مهانة على رؤوس الجموع ، وهو عذاب يقوم على حق وبيان لما عملوا ، إن كانوا هم قد نسوه فإن الله أحصاه بعلمه الذى لا يند عنه شىء ، ولا يغيب عنه خافٍ ، فالله مطلع على كل شىء .

وتلتقى صورة الرعاية والعناية ، بصورة الحرب والنكاية فى علم الله واطلاعه وشهوده وحضوره ، فهو شاهد حاضر للعون والرعاية ، وهو شاهد حاضر للحرب والنكاية ، فليطمئن بحضوره وشهوده المؤمنون ، وليحذر من حضوره وشهوده الكافرون .

يقول صاحب **الأساس** رحمه الله : « علل الله عز وجل لتشريعه أحكام الظهار بقوله : ﴿ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ، ومن هنا نفهم أن التشريعات الإسلامية كلها تنبثق عن الإيمان بالله والرسول ، وقبولها علامة الإيمان بالله والرسول والالتزام بها يعمق الإيمان بالله والرسول وهذا يعرفنا على حكمة من حكم مجىء هذا الموضوع فى مقدمة السورة التى تتحدث عن محاربة الله والرسول ، وبعد السورة التى أمرت بالإيمان بالله والرسول ﷺ .

ومن قوله تعالى ختام الآيات السابقة : ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ نعلم جهل الذين يتصورون أن الإسلام عقائد وعبادات فقط ، فالإسلام عقائد وشعائر وشرائع يجب الإيمان بها جميعا وإلا فهو الكفر .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ الله ـ سبحانه ـ قريب من عباده لا يخفى عليه شىء من أمورهم .

٢ ـ غير الإسلام كثيرا من العادات السيئة التى كان عليها أهل الجاهلية ومن هذه الأمور الظهار .

٣ ـ فتح الإسلام باب تحرير العبيد والإماء ومن ذلك أنه جعله أول شىء فى كفارة الظهار .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ
مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا
تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟
بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ
مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا
إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ
ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

معانى الكلمات :

نجوى : تناجيهم ومسارتهم .

حسبهم : كافيهم .

يصلونها : يدخلونها أو يقاسون حرها .

المصير : المرجع والمستقر .

تحشرون : تجمعون للحساب والجزاء .

ليحزن : ليوقع فى الهم الشديد .

تفسحوا : توسعوا فيها .

انشزوا:انهضوا للتوسعة أو لعبادة أو خير .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نستشعر علم الله الشامل لما فى السموات وما فى الأرض على إطلاقه .

٢ ـ أن نستشعر خطورة المنافقين بين صفوف المسلمين .

٣ ـ أن نعلم بعض الآداب التى وردت فى السورة التى تحفظ على الجماعة وحدتها وتماسكها .

المحتوى التربوى :

يبدأ السياق بتقرير علم الله الشامل لما فى السموات وما فى الأرض على إطلاقه ، فتدع القلب يرد آفاق السموات وأرجاء الأرض مع علم الله المحيط بكل شىء فى هذا المدى الوسيع المتطاول من صغير وكبير ، وخاف وظاهر ومعلوم ومجهول .

ثم تتدرج من هذه الآفاق وتلك الأرجاء ، وتزحف وتقرب حتى تلمس ذوات المخاطبين وتمس قلوبهم بصورة من ذلك العلم الإلهى تهز القلوب ، وهى حقيقة فى ذاتها ولكنها تخرج فى صورة لفظية عميقة التأثير ، صورة تترك القلوب وجلة ترتعش مرة وتأنس مرة ، وهى مأخوذة بمحضر الله الجليل المأنوس ، وحيثما اختلى ثلاثة تلفتوا ليشعروا بالله رابعهم ، وحيثما اجتمع

خمسة تلفتوا ليشعروا بالله سادسهم ، وحيثما كان اثنان يتناجيان فالله هناك ، وحيثما كانوا أكثر فالله هناك ، إنها حالة لا يثبت لها قلب ، ولا يقوى على مواجهتها إلا وهو يرتعش ويهتز .

ومجرد حضور الله وسماعه أمر هائل ، فكيف إذا كان لهذا الحضور والسماع ما بعده من حساب وعقاب ؟ وكيف إذا كان ما يسره المتناجون وينعزلون به ليخفوه ،سيعرض على الأشهاد يوم القيامة وينبئهم الله به فى الملأ الأعلى فى ذلك اليوم المشهود ؟ ! فالله عليم بكل شىء وهذه حقيقة مستقرة فى القلوب .

ويجىءالتهديد للمنافقين؛ الذين كانوا يتناجون فيما بينهم بالمؤامرات ضد الرسول ﷺ ، وضد الجماعة المسلمة بالمدينة مع التعجيب من موقفهم المريب،ويوحى السياق بأن خطة رسول الله ﷺ مع المنافقين فى أول الأمر كانت هى النصح لهم بالاستقامة والإخلاص ، ونهيهم عن الدسائس والمؤامرات التى يدبرونها بالاتفاق مع اليهود فى المدينة وبوحيهم ، وأنهم بعد هذا كانوا يلجون فى خطتهم اللئيمة ، وفى دسائسهم الخفية ، وفى التدبير السيئ للجماعة المسلمة ، وفى اختيار الطرق والوسائل التى يعصون بها أوامر الرسول ﷺ ويفسدون عليه أمره وأمر المسلمين المخلصين .

كما أنها توحى بأن بعضهم كان يلتوى فى صيغة التحية فيحورها إلى معنى سيئ خفى ، كأن يقولوا ـ كما كان اليهود يقولون ـ السام عليكم ، وهم يوهمون أنهم يقولون : السلام عليكم بمعنى الموت لكم أو بمعنى تسامون فى دينكم ، أو أية صيغة أخرى ظاهرها برىء وباطنها لئيم ، وهم يقولون فى أنفسهم : لو كان نبيا حقا لعاقبنا الله على قولنا هذا : أى فى تحيتهم ، أو فى مجالسهم التى يتناجون فيها ويدبرون الدسائس والمؤامرات ، وكشف هذه المؤامرات الخفية ، وإفشاء نجواهم التى عادوا إليها بعد ما نهوا عنها ، وكذلك فضح ما كانوا يقولونه فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ، وهذا يوقع فى نفوس المنافقين أن أمرهم مفضوح ، كما يوحى للمؤمنين بالاطمئنان والوثوق .

ويلتفت السياق إلى المؤمنين ، لينهاهم عن التناجى بما يتناجى به المنافقون من الإثم والعدوان ومعصية الرسول ، ويذكرهم تقوى الله ، ويبين لهم أن النجوى على هذا النحو هى من إيحاء الشيطان ليحزن الذين آمنوا ، فليست تليق بالمؤمنين ، ويبدو أن بعض المسلمين ممن لم تنطبع نفوسهم بعد بحاسة التنظيم الإسلامى ، كانوا يتجمعون عندما تتحزب الأمور ليتناجوا فيما بينهم ويتشاوروا بعيداً عن قيادتهم ، الأمر الذى لا تقره طبيعة الجماعة الإسلامية ، وهنا يناديهم الله بصفتهم التى تربطهم به وتجعل النداء وقعه وتأثيره فيناديهم بالمؤمنين ، لينهاهم عن التناجى ـ إذا تناجوا ـ بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ، ويبين لهم ما يليق بهم من الموضوعات التى يتناجى بها المؤمنون وهى البر والتقوى؛ لتدبير وسائلها وتحقيق مدلولها ، والبر : الخير عامة . والتقوى : اليقظة والرقابة لله سبحانه وهى لا توحى إلا بالخير ، ويذكرهم بمخافة الله الذى يحشرون إليه ، فيحاسبهم بما كسبوا وهو شاهده ومحصيه مهما ستروه وأخفوه .

ثم ينفرهم من التناجى والمسارة والتدسس بالقول فى خفية عن الجماعة المسلمة التى هم منها، ومصلحتهم مصلحتها ، وينبغى ألا يشعروا بالانفصال عنها فى شأن من الشؤون ، فيقول لهم: إن رؤية المسلمين للوسوسة والهمس والانعزال بالحديث تبث فى قلوبهم الحزن والتوجس، وتخلق جواً من عدم الثقة ، وأن الشيطان يغرى المتناجين ليحزنوا نفوس إخوانهم ويدخلوا إليهم الوساوس والهموم ، ويطمئن المؤمنين أن الشيطان لن يبلغ فيهم ما يريد ، فالمؤمنون لا يتوكلون إلا على الله فليس وراء ذلك توكل ، وقد وردت الأحاديث النبوية الكريمة بالنهى عن التناجى فى الحالات التى توقع الريبة وتزعزع الثقة وتبعث التوجس .

ثم يأخذ الذين آمنوا بأدب آخر من آداب الجماعة : فيحث على الإفساح للقادم ليجلس ، كما يحض على إطاعة الأمر إذا قيل لجالس أن يرفع فيرفع ، وهذا الأمر يجىء من القائد المسؤول عن تنظيم الجماعة ، لا من القادم ، والغرض هو إيجاد الفسحة فى النفس قبل إيجاء الفسحة فى المكان ، ومتى رحب القلب اتسع وتسامح ، واستقبل الجالس إخوانه بالحب والسماحة ، فأفسح لهم فى المكان ، عن رضا وارتياح ، فأما إذا رأى القائد أن هناك اعتباراً من الاعتبارات يقتضى إخلاء المكان ، فالطاعة يجب أن ترعى عن طوعية نفس ورضا خاطر ، وطمأنينة بال ، مع بقاء القواعد الكلية مرعية كذلك من عدم تخطى الرقاب أو إقامة الرجل للرجل ليأخذ مكانه ، وإنما هى السماحة والنظام يقررهما الإسلام والأدب الواجب فى كل حال .

وعلى طريقة القرآن فى استجاشة الشعور عند كل تكليف ، فإنه يعد المفسحين فى المجالس بفسحة من الله لهم وسعة ، ويعد الناشزين الذين يرفعون من المكان ويخلونه عن طاعة لأمر الرسول ـ يعدهم برفعة فى المقام ، وذلك جزاء تواضعهم وقيامهم عند تلقى الأمر بالقيام .

وقد كانت المناسبة مناسبة قرب من الرسول ﷺ لتلقى العلم فى مجلسه ، فالآية تعلمهم أن الإيمان الذى يدفع إلى فسحة الصدر وطاعة الأمر والعلم الذى يهذب القلب فيتسع ويطيع ، يؤديان إلى الرفعة عند الله درجات ، وفى هذا مقابل لرفعة المكان الذى تطوعوا بتركه ، وترفعوا عنه لاعتبار رآه الرسول ﷺ ، والله مطلع على ما نعمل فهو يجزى به عن علم ومعرفة بحقيقة ما تعملون وبما وراءه من شعور مكنون .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ من آداب المجالس أن يفسح الإنسان للآخرين ، وبخاصة لمن يكون أكبر منه سنا أو أكثر منه علما ، أو يكون قادما على المجلس ، وألا يزاحم الناس فى المجالس .

٢ ـ الإسلام دين اليسر ، فقد فرض الله على المسلمين أن يقدموا صدقة للفقراء إذا أرادوا محادثة الرسول ﷺ فلما عجز أكثرهم عن ذلك خفف الله ذلك الحكم .

٣ ـ الإسلام يعظم شأن العلم وذلك بتكريم العلماء ورفع درجاتهم إذا كان علمهم مقرونا بالعمل والسلوك .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

معانى الكلمات :

أأشفقتم : أخفتم الفقر والعَيْلة .

وتاب عليكم : عفا الله عنكم .

تولوا قوما : اتخذوا اليهود أولياء .

جُنَّة : وقاية لأنفسهم وأموالهم .

تغنى : تدفع .

استحوذ : استولى على قلوبهم .

يحادّون : يعادون ويشاقون .

الأذلين : الزائدين فى الذلة والهوان .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نستشعر منزلة الرسول ﷺ ونقدره حق قدره .

٢ ـ أن نتعرف على بعض أحوال المنافقين .

٣ ـ أن نعلم أن سنة الله تعالى فى أرضه قهر الشرك وأهله .

المحتوى التربوى :

بعد أن أدب الله المسلمين هذا الأدب الرفيع الذى فيه هضم النفس فى ذات الله ، وبعد أن علمهم كيف يكون محور حديثهم فى مجالسهم ، تأتى الآن آيتان فيهما أدب مناجاة رسول الله ﷺ، وذلك فى مقابل سوء أدب الكافرين والمنافقين مع رسول الله ﷺ، وكذلك يعلمهم القرآن أدبا آخر فى علاقتهم برسول الله ﷺ ، فيبدو أن هناك تزاحمًا على الخلوة برسول الله ﷺ ليحدثه كل فرد فى شأن يخصه ، ويأخذ منه توجيهه ورأيه ، أو ليستمتع بالانفراد به مع عدم التقدير لمهام رسول الله ﷺ الجماعية ، وعدم الشعور بقيمة وقته ، وبجدية الخلوة به ، وأنها لا تكون إلا لأمر ذى بال ، فشاء الله أن يشعرهم بهذه المعانى بتقرير ضريبة للجماعة من مال الذى يريد أن يخلو

برسول الله ﷺ ويقتطع من وقته الذى هو من حق الجماعة ، فى صورة صدقة يقدمها قبل أن يطلب المناجاة والخلوة .

ولكن الأمر شق على المسلمين ، وعلم الله ذلك منهم ، وكان الأمر قد أدى غايته ، وأشعرهم بقيمة الخلوة التى يطلبونها ، فخفف الله عنهم برفع هذا التكليف ، وتوجيههم إلى العبادات والطاعات المصلحة للقلوب من القيام بالصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله ، والله مطلع على أعمالنا .

ثم يعود السياق إلى المنافقين الذين يتولون اليهود ، فيصور بعض أحوالهم ومواقفهم ، ويتوعدهم بافتضاح أمرهم ، وسوء مصيرهم ، وانتصار الدعوة الإسلامية وأصحابها على الرغم من كل تدبيراتهم ، وهذه الحملة القوية على المنافقين الذين يتولون قوما غضب الله عليهم ـ وهم اليهود ـ تدل على أنهم كانوا يمضون فى الكيد للمسلمين ، ويتآمرون مع ألد أعدائهم عليهم ، كما تدل على أن سلطة الإسلام كانت قد عظمت بحيث يخافها المنافقون،فيضطرون ـ عند ما يواجههم رسول الله ﷺ والمؤمنون بما يكشفه الله من تدبيراتهم ومؤامراتهم ـ إلى الحلف بالكذب لإنكار ما ينسب إليهم من مؤامرات وأقوال،وهم يعلمون أنهم كاذبون فى هذه الأيمان .

إنهم يتقون بأيمانهم ما يتوقعون من مؤاخذتهم بما ينكشف من دسائسهم ، وبذلك يستمرون فى دسائسهم للصد عن سبيل الله ، والله يتوعدهم من خلال هذه الآيات ؛ فقد أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة ، وهى موالاة الكافرين ونصحهم ، ومعاداة المؤمنين وغشهم ، وقد أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ، واتقوا بالأيمان الكاذبة ، فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغتر بهم ، فحصل بهذا صد عن سبيل الله لبعض الناس ، ولهم العذاب المهين فى مقابلة ما امتهنوا من الحلف باسم الله العظيم فى الأيمان الكاذبة الحانثة ، ولن تدفع عنهم الأموال والأولاد بأسا إذا جاءهم ومن كانت صفتهم هذه فهم أصحاب النار ماكثين فيها .

ويصور مشهدهم يوم القيامة فى وضع مزرٍ مهين ، وهم يحلفون لله كما كانوا يحلفون للناس ، مما يشير إلى أن النفاق قد تأصل فى كيانهم ، حتى ليصاحبهم إلى يوم القيامة ، وفى حضرة الله ذى الجلال ، الذى يعلم خفايا القلوب وذوات الصدور ، وهم على هواء لا يستندون إلى شىء أى شىء ، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس ، فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة ، ويظنون بحلفهم أنهم على شىء عند ربهم ، فيدمغهم الله بالكذب الأصيل الثابت .

ثم يكشف عن علة حالهم هذه ، فقد استولى عليهم الشيطان كلية حتى أنساهم ذكر الله ، والقلب الذى ينسى ذكر الله يفسد ويتمحض للشر ، وهم الحزب الخالص للشيطان الذى يقف تحت لوائه ، ويعمل باسمه، وينفذ غاياته، وهو الشر الخالص الذى ينتهى إلى الخسران الخالص ، وهى حملة شديدة عنيفة تناسب الشر والأذى والفتنة التى يدبرونها للمسلمين مع أعدائهم

الماكرين ، وتطمئن قلوب المسلمين ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ يتولى عنهم الحملة على أعدائهم المستورين .

ولما كان أولئك المنافقون يأوون إلى اليهود شعوراً بأنهم قوة تخشى وترجى ، ويطلبون عندهم العون والمشورة ، فإن الله ييئسهم منهم ، ويقرر أنه كتب على أعدائه الذلة والهزيمة ، وكتب لنفسه ولرسوله الغلبة والتمكين ، هذا وعد الله الصادق الذى كان والذى لابد أن يكون على الرغم مما قد يبدو أحيانا من الظاهر الذى يخالف هذا الوعد الصادق .

فالذى وقع بالفعل أن الإيمان والتوحيد قد غلب على الكفر والشرك ، واستقرت العقيدة فى هذه الأرض ، ودانت لها البشرية بعد كل ما وقف فى طريقها من عقبات الشرك والوثنية ، وبعد الصراع الطويل مع الكفر والشرك والإلحاد ، وإذا كانت هناك فترات عاد فيها الإلحاد . أو الشرك إلى الظهور فى بعض بقاع الأرض ـ كما يقع الآن فى الدول الملحدة والوثنية ـ فإن العقيدة فى الله ظلت هى المسيطرة بصفة عامة ، فضلا على أن فترات الإلحاد والوثنية إلى زوال مؤكد ؛ لأنها غير صالحة للبقاء ، والبشرية تهتدى فى كل يوم إلى أدلة جديدة تهدى إلى الاعتقاد فى الله والتمكين لعقيدة الإيمان والتوحيد .

يقول صاحب الظلال : « والمؤمن يتعامل مع وعد الله على أنه الحقيقة الواقعة ، فإذا كان الواقع الصغير فى جيل محدود أو فى رقعة محدودة يخالف تلك الحقيقة ، فهذا الواقع هو الباطل الزائل ، الذى يوجد فترة فى الأرض لحكمة خاصة ، لعلها استجاشة الإيمان وإهاجته لتحقيق وعد الله فى وقته المرسوم ، وحين ينظر الإنسان اليوم إلى الحرب الهائلة التى شنها أعداء الإيمان على أهل الإيمان فى صورها المتنوعة ؛ من بطش ومن ضغط ومن كيد بكل صنوف الكيد فى عهود متطاولة ..حين ينظر الإنسان إلى هذا الواقع فى المدى المتطاول يجد مصداق قول الله تعالى ، يجده فى هذا الواقع ذاته بدون حاجة إلى الانتظار الطويل .

وعلى أية حال فلا يخالج المؤمن شك فى أن وعد الله هو الحقيقة الكائنة التى لابد أن تظهر فى الوجود ، وأن الذين يحادون الله ورسوله هم الأذلون ، وأن الله ورسله هم الغالبون وأن هذا هو الكائن والذى لابد أن يكون .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ حرمة موالاة اليهود .

٢ ـ حرمة الحلف على الكذب وهى اليمين الغموس .

٣ ـ من علامات استحواذ الشيطان على الإنسان ، تركه لذكر الله بقلبه ولسانه ولوعده ووعيده بأعماله وأقواله .

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

٥٤٥

معانى الكلمات :

يوادون : يحبون ويتبعون .

وأيدهم بروح منه : وقواهم بنصره ، وبنور يقذفه فى قلوبهم .

سبح لله : نزّهه ومجده تعالى .

فأتاهم الله : فأتاهم أمره وعقابه .

لم يحتسبوا : لم يظنوا ولم يخطر لهم ببال .

وقذف : وألقى وأنزل إنزالا شديدا .

الجلاء:الخروج من الوطن بالأهل والولد.

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم حرمة موالاة الكافر بالنصرة والمحبة ولو كان أقرب قريب .

٢ ـ أن نستشعر جلال الله وعظمته وعزته وحكمته فى تسبيحه من كل المخلوقات .

٣ ـ أن نتعرف على علة هزيمة بنى النضير وخروجهم من ديارهم .

المحتوى التربوى :

تجىء القاعدة الثانية التى يقف عليها المؤمنون ، أو الميزان الدقيق للإيمان فى النفوس ؛ إنها المفاصلة الكاملة بين حزب الله وحزب الشيطان ، والانحياز النهائى للصف المتميز ، والتجرد من كل عائق وكل جاذب ، والارتباط فى العروة الواحدة بالحبل الواحد ، فما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه، وما يجمع إنسان فى قلب واحد وُدَّين: ودّاً لله ورسوله وودّا لأعداء الله ورسوله؛ فأما إيمان أو لا إيمان ، أما هما معا فلا يجتمعان .

ومن الممتنع أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين ، مهما كانت قرابتهم ، حتى ولو كانت القرابة قرابة أبوة وبنوة وأخوة وعشيرة ، فلا ينبغى أن يكون ذلك ، وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال ، ومن اتصف بأنه لا يوادّ من حادّ الله ورسوله ولو كان أباه أو ابنه أو أخاه فهذا ممن كتب

الله فى قلبه الإيمان ، والسعادة فى قلبه ، وزين الإيمان فى بصيرته ، ولما سخطوا على القرائب والعشائر فى الله ، عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم ، وهم جند الله وأنصار الحق الذى أنزل ودعاة الخلق إليه ، فهم عباد الله وأهل كرامته ، والباقون فى النعيم المقيم ، الفائزون بكل محبوب ، الآمنون من كل مرهوب ، الفائزون فى الدنيا والآخرة .

قال صاحب الظلال : « وهكذا تنقسم البشرية إلى حزبين اثنين : حزب الله وحزب الشيطان ، وإلى رايتين اثنتين : راية الحق وراية الباطل ، فإما أن يكون الفرد من حزب الله فهو واقف تحت راية الحق ، وإما أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف تحت راية الباطل ... وهما صفان متميزان لا يختلطان ولا يتميعان .

لا نسب ولا صهر ، ولا أهل ولا قرابة ، ولا وطن ولا جنس ، ولا عصبية ولا قومية .. إنما هى العقيدة والعقيدة وحدها ، فمن انحاز إلى حزب الله ووقف تحت راية الحق ، فهو وجميع الواقفين تحت هذه الراية إخوة فى الله ، تختلف ألوانهم وتختلف أوطانهم ، وتختلف عشائرهم وتختلف أسرهم ولكنهم يلتقون فى الرابطة التى تؤلف حزب الله ، فتذوب الفوارق كلها تحت الراية الواحدة ، ومن استحوذ عليه الشيطان فوقف تحت راية الباطل ، فلن تربطه بأحد من حزب الله رابطة ؛ لا من أرض ، ولا من جنس ولا من وطن ، ولا من لون ، ولا من عشيرة ، ولا من نسب ، ولا من صهر .. لقد أنبتت الوشيجة الأولى التى تقوم عليها هذه الوشائج ، فأنبتت هذه الوشائج جميعا .

ومع إيحاء هذه الآية بأنه كان هناك فى الجماعة المسلمة من تشده أواصر الدم والقرابة وجواذب المصلحة والصداقة ، مما تعالجه هذه الآية فى النفوس ، وهى تضع ميزان الإيمان بهذا الحسم الجازم والمفاصلة القاطعة .

سورة الحشر

يقول صاحب الأساس : « من مقدمة السورة ندرك مضمونها ، وأن له صلة بتنزيه الله وخضوع الأشياء كلها له، واتصافه بالعزة والحكمة ،ولذلك سنرى فى السورة مظاهر من عزته، وحكمته .. وذكر اسم من أسماء الله عز وجل فى ابتداء سورة يشعرنا أن السورة مجلى لظهور هذا الاسم ، وها هنا فى سورة الحشر نرى فعل الله بالكافرين والمنافقين وذلك من مظاهر عزته وتدبير الله للمؤمنين وذلك من مظاهر حكمته » .

وتبدأ السورة وتختم بتسبيح الله الذى له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، بهذه الحقيقة التى وقعت وكانت فى الوجود ، حقيقة تسبيح كل شىء فى السموات ، وكل شىء فى